الدكتور أحمد عيسى بك

طبيب رائد.. ومعجمي مختص.. ومؤرِّخ ثقة.. ولغوي محقِّق

١٨٧٦م- ١٩٤٦م

أ.د. محمد حسن عبد العزيز (*)

أحمد عيسى من رواد الأطباء الذين تخصصوا في أمراض النساء، من مواليد رشيد، تعلم بها، ثم التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، ثم مدرسة الطب بالقاهرة، عمل بعد تخرجه في بعض المستشفيات كطبيب باطني.

لم تقتصر دراسته على الطب، فالتحق - وهو طبيب - بالجامعة المصرية، وتعلم اللغات السامية واليونانية واللاتينية، كما استهوته دراسة التاريخ، كان عضوًا بجمعية الهلال الأحمر، والمجلس الأعلى لدار الكتب، وعضوًا بالمجمع العلمي بدمشق ١٩٢٥م، والمجمع العلمي المصري، والأكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بباريس عام ١٩٣٦م، وعضوًا بمجلس الشيوخ ١٩٢٣م.

له مؤلفات طبية، منها: أمراض النساء ومعالجتها (جزءان)، وكتاب صحة المرأة في أدوار حياتها، والتفسرة؛ أي الاستدلال بأحوال البول على المرض(١).

ألَّف أحمد عيسى عشرين كتابًا ومعجمًا ورسالة، نُشر أغلبها مطبوعًا، وبعضها - بكل أسف - كان تحت الطبع أو تحت التبييض ولم يُنشر.

كان أحمد عيسى - كما تشير إلى ذلك مصنَّفاته العشرون- متعدد الثقافة، مبرِّزًا في عدد من العلوم، لم تجتمع قبله لمؤلف.

بحثنا هذا سيكون عن بعض مصنَّفاته العشرين المنشورة، ولم يكن من همنا أو من اختصاصنا أن تتعرض لما ألَّفه في الطب العلاجي، وآثرنا التعرض

(*) أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(١) انظر: موسوعة أعلام مصر في القرن العشرين.

فحسب إلى ما يخرج عن هذا المجال العلمي في إطار ما يأتي من مباحث:

١. مصطلحات الطب وعلوم الأحياء.

- معجم أسماء النبات، ١٩٣٠م.

٢. تاريخ الطب والنبات.

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام.
- آلات الجراحة والكحالة عند العرب، ١٩٢٥م.
- معجم الأطباء، ١٩٤٢م.
- تاريخ النبات عند العرب، ١٩٤٤م.

٣. في أصول اللغة العربية وألفاظها.

- المحكم في أصول الكلمات العامية، ١٩٣٥م.
- التهذيب في أصول التعريب، ١٩٢٣م.
- ألعاب الصبيان عند العرب.
- الغناء عند العرب، ١٩٣٦م.

٤. جهود أحمد عيسى في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

معجم أسماء النبات:

وضع أحمد عيسى هذا المعجم بعناية وزارة المعارف العمومية عام ١٩٣٠م، ولعله أول معجم في موضوعه.

كان أحمد عيسى في أول الأمر يعتزم أن يضع معجمًا شاملًا جميع العلوم الطبية والطبيعية، مع عناية خاصة بأسماء النبات، بَيْد أنه تبين له بعد أن جمع عددًا هائلًا من المصطلحات أنه ليس من المستطاع إدماج ذلك كله في معجم مشترك عام، وتعيَّن أن يُفرِد معجمًا خاصًّا بأسماء النبات، فتكون الفائدة أعم وأنفع.

يقول في مقدمة معجمه: "جمعت فيه عددًا كبيرًا من أسماء النبات ومرادفاتها في جميع العصور ومن مختلف البلدان العربية". وقد اعتذر عن سلوك هذه الطريقة في الجمع وأبان فائدتها بقوله: "وقد كان جمعي لما وقع إليَّ من أسماء النبات على عِلَّاته؛ أي أنني جمعت العربي الفصيح والمعرَّب والمولَّد، فلم أترك منه شيئًا، بل تعمدت إثباته، وقصدت بهذا التعمد إلى أشياء هي الآن قِبلة المؤلِّفين ومقصد العلماء في هذا العصر، وهي:

أولًا: أن يكون المعجم شاملًا كل ما عُرف من أسماء النبات في المصنَّفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة.

ثانيًا: أن يكون المعجم مرجعًا لتحقيق الكلمات التي أتت بها المصنَّفات العربية، ولم تكن معروفة الأصل، مقتصرًا على معرفة أسماء النبات، فيكون بمثابة ذيل للمعاجم العربية يُرجع إليه في البحث عن الكلمات الغريبة وأصولها"[١].

(١) مقدمة المعجم، ص (د، هـ).

مادة المعجم ومنهجه:

يضم المعجم ما يقرب من سبعة آلاف اسم عربي أو مُعرَّب، وضعها في إطار مداخل مرتبة ترتيب الحروف اللاتينية (A) ثم (B) ثم (C) إلى (D)... إلخ، وقد ذيَّل المعجم بفهرس لهذه الأسماء باللغة الفرنسية، ثم بفهرس آخر لها باللغة العربية مرتب ترتيب حروف المعجم الألفبائي معتدًّا بحروف الكلمة كلها أصولًا عربية كانت أو معرَّبة، معتبرًا موضع ألف المد بعد الهمزة.

وهذا مثال يوضح المعلومات والمنهج المقدمة في إطاره:

الاسم: آذان الفيل (المعروف بمصر بالقلقاس).

الاسم العلمي: (وغالبًا ما يكون لاتينيًّا) Araceae.

المرادف: أذن الفيل – قلقاس وقلقاص – قَعْنب – لوف قِبطي – فيلجوش (وتأويله آذان الفيل).

المرادف العلمي: Arum esoulenta (syn)(لاتيني).

الفصيلة: Arum esoulent (Fam).

المرادف الإنجليزي: Colocasia (A).

من هذا المثال نتبين وفرة الألفاظ التي جمعها في هذا المدخل وفي غيره بما يشهد بكثرة المراجع التي اعتمد عليها في جمعه، واستيعابه لوصفها وتصنيفها علميًّا.

وقد بذل الدكتور أحمد عيسى في تحقيق هذه الأسماء وتصحيحها جهدًا عظيمًا، وقد أشار على وجه الخصوص إلى المصادر النباتية العربية بقوله: "إن النسَّاخين لم يتركوا منها شيئًا على حاله، بل تناولوه بالمسخ والتحريف والتصحيف حتى لم تبق كلمة على رسمها".

وقد بذل جهدًا لا يقل عن سابقه في تأصيل الكلمات المعربة، يقول: "أرجعت كل كلمة، يونانية كانت أو فارسية أو غير ذلك من اللغات إلى أصلها، بقدر ما

وصل إليه الجهد، ورسمتها بالشكل الذي وضعها العرب عليه طبقًا للقواعد التي جُمعت في كتاب (التهذيب في أصول التعريب)"[١].

منهجه في التعريب:

مقدمة معجم أسماء النبات موجزة من صفحتين، اكتفى فيها بالحديث عن مشكلة جمع مادة المعجم وتحقيقها وتأصيلها، وأحال إلى كتابه (التهذيب) فيما يتصل بمنهجه في التعريب ورسم الأسماء. ونكتفي هنا بما يتصل بتعريب أسماء النبات.

يرى الدكتور أحمد عيسى أن النَّقَلَة قد تعترضهم أسماء ليس لها مقابل في العربية أو كان اسم النبات مأخوذًا من اسم مكتشفه، فهذا النبات يُسمَّى بأحد أوصافه أو خصائصه كما فعل العرب عند ترجمتهم كثيرًا من الأسماء اليونانية، فقالوا فيها: أحداق المرضى، وآذان الفيل، وأصابع الفتيات... لشبهها بمسمياتها أو لغير ذلك من الأسباب... إلخ.

وثمَّة طريقة فريدة يقترحها، وهي أن يترك للفلاحين – بعد استيعاب تلك الأعيان في أماكن مختلفة– أن يسموها بحسب ما يجول في أذهانهم مما يرونه من صفات ومميزات للنبات، وقد تبين نفع هذه الطريقة حين استُجْلِبت إلى مصر نباتات كثيرة فسارع الفلاحون إلى تسميتها، ومن تسمياتهم المشهورة: أبو خنجر، وأبو عين صفراء، وست الحسن... إلخ.

ويُذكر للدكتور أحمد عيسى أنه أول من دعا إلى هذه الطريق، واعتد بهذه الفئة من المجتمع في مجال الوضع اللغوي[٢].

من تاريخ الطب عند العرب:

ينقل الدكتور أحمد عيسى عن القاضي صاعد الأندلسي في كتاب (طبقات الأمم) قوله: "إن العرب في صدر الإسلام لم تُعْنَ بشيء من العلوم إلا بلغتها

---

(١) مقدمة المعجم، ص (ح).
(٢) التهذيب في أصول التعريب، ص١٢٦، ١٢٧.

ومعرفة أحكام شريعتها حاشا علوم الطب، فإنها كانت موجودة من أفرادها غير منكورة لحاجة الناس طُرًّا إليها"[١].

ثم يقول في تفصيل ذلك: "كانت العرب في مبدأ أمرها لا تعرف من الطب إلا الطب التجريبي منه، وما ينبني عليه من مثل الحِجامة والفَصْد والكَيّ، وما عدا ذلك فلم يكن لهم إلمام تام بالطب المعروف في زمنهم إلا للقليلين منهم الذين اختلطوا بالأمم المجاورة لهم، والمحيطة بهم من أهل الحضارات السابقة، وهم الفرس واليونان والهند، كالحارث بن كِلْدَة، وأبى حفص يزيد، وابن أبي رُميثة التميمي... إلخ، فلما أخذ العرب في فتح البلاد والاختلاط بالأمم المغلوبة على أمرها أخذوا في نقل علوم تلك الأمم إلى لغتهم، وقد استخدموا في أول أمرهم السريان، فتبسطوا وتوسعوا في النقل حتى نالوا أَرَبهم واستوعبوا منه الكفاية"[٢].

تاريخ البيمارستانات في الإسلام:

يقول أحمد عيسى في مقدمة كتابه: "هذه كلمة في تاريخ المستشفيات، وهي التي كان يُعبَّر عنها بكلمة (بيمارستان) في العهد الإسلامي إلى العصر الحاضر؛ أي إلى إنشاء مستشفى (أبي زعبل) بضاحية القاهرة على النظام الحديث في مصر سنة ١٨٢٥م.

والبيمارَسْتان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين: (بيمار) بمعنى مريض أو عليل، و(ستان) بمعنى مكان أو دار، ثم اختُصِرت فصارت (مارستان) كما ذكرها الجوهري في صحاحه.

وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل تعالج جميع الأمراض والعلل، بَيْد أن الزمان دار بها، وحل بها البوار، وهجرها المرضى، وحين ذلك صارت كلمة (مارستان) لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين"[٣].

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٨.

(٢) السابق، ص٨.

(٣) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٨.

أول من اتخذ البيمارستانات في الإسلام:

روى مسلم – رحمه الله تعالى – عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: "أُصيب سعد بن معاذ يوم الخندق... فضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيمة في المسجد يعوده من قريب". وقد نصحه الرسول بأن يذهب إلى هذه الخيمة، وكان بها امرأة من أَسْلَم يقال لها: (رُفيدة)، كانت تداوي الجرحى.

وممن كان يُطبِّب الجرحى أمُّ عطية، قالت: "غزوت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – سبع غزوات، فكنت أصنع لهم طعامهم، وأخلفهم في رِحالهم، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى"(١).

ويُنسب إلى أم المؤمنين عائشة أنها كانت عالمة بالطب، قال عروة بن الزبير: "ما رأيت أعلم بالطب من عائشة".

وعجب هشام بن عُرْوة من علمها، وقال لها: "أعجب من علمك بالطب"! ففسرت ذلك بأنها كانت تَلْقَى وفود العرب، وتسمع أوصافهم للأمراض، وتحفظه عنهم.

ويستنتج أحمد عيسى مما سبق أن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أول من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل(٢).

وينقل أحمد عيسى عن المقريزي قوله: "أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي في سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، وجعل في البيمارستان الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المُجَذَّمين لئلَّا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق"(٣).

---

(١) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٧، ٨ بتصرف يسير.

(٢) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٨ بتصرف يسير.

(٣) السابق، ص١١.

أنواع البيمارستانات:

البيمارستانات نوعان: ثابت ومحمول.

فالثابت ما كان بناء لا ينتقل منه، وهذا النوع كثير الوجود في كثير من البلاد الإسلامية، لا سيما في العواصم الكبرى كالقاهرة وبغداد ودمشق... إلخ، ولا يزال أثر بعضها باقيًا على مر الدهور، كالبيمارستان المنصوري (قلاوون الآن) بالقاهرة... إلخ.

أما البيمارستان المحمول فهو الذي ينتقل من مكان إلى آخر بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها، وكذا الحروب، وكان هذا النوع معروفًا لدى خلفاء الإسلام وملوكهم وسلاطينهم، وهو عبارة عن مستشفى مجهَّز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة، وكل ما يعين على ترفيه الحال على المرضى والعَجَزَة والمسجونين، وكان يُنقَل من بلد إلى آخر من البلاد التي تخلو من (بيمارستان)، أو التي يصيبها وباء أو مرض مُعْدٍ.

نظام العمل في البيمارستانات:

لم تكن البيمارستانات تسير اتفاقًا بغير نظام ولا ترتيب، بل كانت على نظام تام وترتيب محمود، تسير أعمالها على وتيرة منتظمة.

كانت البيمارستانات منقسمة إلى قسمين منفصلين بعضهما عن بعض: قسم للذكور وقسم للإناث، وكل قسم مجهَّز بما يحتاجه من آلة وعُدَّة وخَدَم وفرَّاشين من الرجال والنساء، وقُوَّام ومشرفين.

وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلف الأمراض؛ فقاعة للأمراض الباطنة، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة (أمراض العيون)، وقاعة للتجبير، وكان كل قسم منها ينقسم إلى أقسام لكل مرض من الأمراض، وللبيمارستان صيدلية تُسمَّى (شرابخاناه)، ولها رئيس يُسمَّى (شيخ صيدلي)،

وبهذه الصيدلية أنواع كثيرة من الأشربة والمعاجين النفيسة والمُرَبَّيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة(١).

ويفصل أحمد عيسى القول عن نظام العمل بهذه البيمارستانات تفصيلًا لا يتسع له المقام، ونكتفي بموجز مما كتبه عن:

الدروس الطبية:

كانت البيمارستانات مدارس تُلقَى فيها الدروس، وتُنقَل فيها خبرات الأطباء الكبار إلى غيرهم من الأطباء الشُّداة.

في هذا يقول ابن أبي أصيبعة: "كنت بعدما يفرغ الحكيم مهذَّب الدين، والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان... أجلس إليهم ومعهم الشيخ الرحبي، فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم، وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها".

وينقل أحمد عيسى عن ابن أبي أصيبعة أن أبا المجد بن أبي الحكم كان يدور على المرضى بالبيمارستان الكبير النُّوري، ويتفقد أحوالهم، ويعتبر أمورهم، وبين يديه المشارفون والقُوَّام لخدمة المرضى... وكان بالبيمارستان خزانة من الكتب الطبية، وكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثم يجري مباحث طبية، ويقرئ التلاميذ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب الطبية مقدار ثلاث ساعات، ثم يركب إلى داره(٢).

إجازة الطب:

كان الأطباء في أول عهد الدول الإسلامية تكتفي لمعاناة التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره، حتى إذا آنس من نفسه القدرة

---

(١) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص١٦، ١٧.

(٢) السابق، ص٢٥. وثمَّة أمثلة أخرى لذلك، وانظر من ص٢٧: ٢٩.

على مزاولة الصنعة باشرها بدون قيد أو شرط. وكان أول من نظَّم صناعة التطبيب وقيدها بنظام خاص حرصًا على مصلحة الجمهور هو الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن المعتضد الذي تولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ، ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخوِّله هذا الحق(١).

وينقل أحمد عيسى عن ابن أبي أصيبعة عن سنان بن ثابت أن الخليفة أمر بمنع سائر المتطبِّبين من التصرف إلا مَن امتحنه سنان، وقد بلغ مَن تقدَّم لهذا الامتحان من أهل بغداد ثمانمائة رجل ونيِّف وستين رجلًا... وصار ذلك معمولًا به في مصر أيضًا، فمتى أتم الطالب دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء في القُطْر المصري، ويطلب إليه إجازته لمعاناة صنعة التطبيب. وكان على الطالب أن يقدِّم أشبه بما يُسمَّى اليوم بـ (الأُطروحة)، فيمتحنه فيها ويسأله في كل ما يتعلق بما فيها من الفن، فإذا أحسن الإجابة أجازه، ويسمح له بالاشتغال في تطبيب المرضى(٢).

وقد نسخ أحمد عيسى في كتابه عددًا من هذه الإجازات التي تُعدُّ وثائق على درجة عالية من الأهمية في تاريخ الطب وفي عراقة تقاليده.

مراقبة الأطباء:

بعد حديث مفصَّل عن الحِسْبة وعن دورها في الأنظمة ومراقبة الأعمال، بيَّن كيف كان المحتسِب يراقب الأطباء، وكيف يباشرون أعمالهم على الوجه الصحيح، وينقل عن كتاب: (نهاية الرتبة في طلب الحِسْبة) للشيخ العالم عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشعراني قوله: "وينبغي للمحتسِب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط الذي أخذه على سائر الأطباء، ويُحلِّفهم ألَّا يُعطوا أحدًا دواءً ضارًّا، ولا يُركِّبوا له سُمًّا... ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يُسقِط الأجِنَّة...

(١) وانظر في سبب ذلك: ص٢٩.

(٢) السابق، ص٣٠.

وليغضُّوا من أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى، ولا يُفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار...". إلخ، ثم ينقل عهد أبقراط كاملًا[1].

بيمارستانات الإسلام:

كان الفصل الأول من كتاب أحمد عيسى عن نشأة البيمارستانات ونظامها، واستغرق هذا الفصل ربع الكتاب، ثم يعقد الفصل الثاني لدراسة مفصَّلة استغرقت بقية صفحات الكتاب البالغة مائتي صفحة بعنوان: (بيمارستانات الإسلام على التفصيل)، وهي:

١. بيمارستانات جُنديْسابور.
٢. بيمارستانات مصر.
٣. بيمارستانات العراق والجزيرة.
٤. بيمارستانات الشام.
٥. بيمارستانات الجزيرة العربية.
٦. بيمارستانات إيران.
٧. بيمارستانات بلاد الشام (أي الأناضول).
٨. بيمارستانات المغرب.
٩. بيمارستانات الأندلس.

ونكتفي في هذا العرض بثلاثة منها لأهميتها، ولأن الحديث عنها يطول، والحديث عن بعضها بإيجاز فيه غناء وفائدة.

بيمارستانات جُنديْسابور:

كان هذا البيمارستان من أكبر البيمارستانات في العصر السابق للإسلام بثلاثة قرون، وقد كان نِعْم المعين للعرب على إنشاء البيمارستانات بعد ذلك، وتخريج الأطباء اللازمين لها، وظل حافظًا لكيانه وشهرته عهدًا طويلًا إلى ما بعد قيام الدولة العباسية؛ حيث ابتدأ المسلمون يُنشئون البيمارستانات في بلادهم وأمصارهم التي افتحوها.

وجنديسابور مدينة بخوزستان، اشتهرت بمدرستها الطبية وبيمارستانها اللذين أنشأهما كسرى الأول، وجلب إليهما المعلمين من اليونان، وكانت الدروس تُلقَى باللغة الآرامية، ولذلك كان للسريان نصيب كبير فيهما.

---

(١) السابق، ص٣٧، ٣٨.

وكان العرب قبل الإسلام يستمدُّون أطباءهم من خِريجي جنديسابور، واستطبَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدون من بعده بأطباء منها، كالحارث بن كِلْدَة، وجرى خلفاء بني أمية على ذلك الأمر فاستعانوا بهم.

وفي العصر العباسي كان لأطباء جنديسابور شأن عند العباسيين يُذكَر من بينهم: جورجيس بن بختيشوع، وبختيشوع بن جورجيس، وماسويه[1].

بيمارستانات مصر:

ثمَّة إشارات موجزة عن بعض بيمارستانات بمصر أحدها في زقاق القناديل في عصر الدولة الأموية، وبيمارستان المعافر بمدينة الفسطاط بناه الفتح بن خاقان في أيام الخليفة المتوكل على الله، وقد باد أثره.

البيمارستان العتيق:

ويُعرف بالبيمارستان الأعلى، أنشأه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، وذُكِر أن مبلغ ما أنفق عليه وعلى مُستغَلِّه ستون ألف دينار. قال عنه القلقشندي: أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون (وكان موجودًا إلى عهده).

وقال عنه أحمد عيسى: "وقد اندثر هذا المارستان في جملة ما اندثر من الآثار، ولم يبقَ له الآن أثر"[2].

البيمارستان الناصري أو الصلاحي:

لمَّا ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية واستولى على قصر عظيم للفاطميين جعل فيه بيمارستانًا، وقد كان قائمًا إلى زمن القلقشندي (وكانت وفاته سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

---

(١) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٤١، ٤٢.

(٢) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٤٦، ٥١.

وقد أطنب الرحالة ابن جُبير في وصف هذا البيمارستان عند زيارته للقاهرة سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وقال: "ومما شاهدناه في مفاخر السلطان صلاح الدين المارستان الذي بناه بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة حُسْنًا واتساعًا، أبرزه لهذه الفضيلة تأجُّرًا واحتسابًا، وعيَّن له قَيِّمًا من أهل المعرفة، ووضع لديه خزائن العقاقير... ووُضِعَت في مقاصير هذا القصر أَسِرَّة يتخذها المرضى مضاجع... وبين يدي ذلك القَيِّم خَدَمَة يتكلَّفون بتفقُّد أحوال المرضى بُكْرَة وعَشِيَّة، ويقدِّمون لهم الأغذية والأشربة بما يليق بهم، وكان للنساء من القصر جزء مقتَطَع، ولهن أيضًا مَن يَكْفُلُهُنَّ، وثمَّة موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك من الحديد اتخذت مجالس للمجانين. ولهم أيضًا من يتفقد في كل يوم أحوالهم... والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال، ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد"(١).

البيمارستان الكبير المنصوري (مارستان قلاوون):

كان هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة، كان قاعة للسيدة الشريفة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار، وأخت الحاكم بأمر الله منصور، وقد باشر الأمير علم الدين سنجر الشجاعي أمر عمارة هذا المارستان سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م.

ويقول عنه ابن بطوطة في رحلته: "وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه، وأُعدَّ فيه من المرافق والأدوية ما لا يُحصَى، ويذكر أن مَجْباه (نفقته) ألف دينار كل يوم"(٢).

وظل البيمارستان يعمل في خدمة المرضى، وفي عهد الملك الناصر محمد ابن منصور قلاوون في سنة ٧٢٦هـ اجتهد في إصلاح البيمارستان والقبة

(١) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٥٢، ٥٣ بتصرف يسير.

(٢) السابق، ص٥٩.

والمدرسة[١]، ثم أُهمِل بناؤه فترة، ولكن سرعان ما أُصلِح بناؤه ونُهض بوظائفه في عهد السلطان الحسن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٠هـ، وجدَّد الأمير عبد الرحمن كتخدا بناءه، ورتَّب للعاملين والمرضى أرزاقًا وأخبازًا على ما بَقِيَ من بنائه.

وفي أثناء الحملة الفرنسية على مصر دخله المسيو جومار، وكان عدد المرضى فيه خمسين أو ستين مريضًا عدا المجانين، وكتب المسيو ديجانت تقريرًا عما عرض له من اضمحلال، وما تعرَّض له المرضى من إهمال[٢].

واهتم محمد علي به ورتَّب له نفقات تصرف على الفقراء والمساكين.

وفي سنة ١٨٥٠م بلغ الغاية من الاضمحلال، وهجره المرضى ولم يبقَ به إلا المجانين، وحين نُقل المجانين إلى ورشة الجوخ ببولاق عاد إلى ما كان عليه من معالجة سائر الأمراض، وكان يتولى العلاج فيه خِيرة الأطباء المتعلمين في الطب بالنظام العلمي الحديث، وتولَّى شؤونه الدكتور حسين عوف، وكان طبيبًا للعيون، ثم خلفه ابنه محمد عوف باشا، وكان أيضًا مختصًّا بأمراض العيون، ومن هنا أخذ البيمارستان يكون خاصًّا بأمراض العيون إلى اليوم.

بيمارستانات الشام:

أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك سادس خلفاء بني أمية[٣].

وثمَّة بيمارستانات أخرى أُنشِئت ببلاد الشام، بَيْد أن أهمها البيمارستان الكبير النُّوري، ابتناه السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وبني

(١) انظر في هذه الإصلاحات: تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص٦١.

(٢) انظر: السابق، ص٦٧.

(٣) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص١٢٩.

البيمارستان في أول عهده سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بدمشق، وقد رسمه على الفقراء والمساكين، ولا يمنع دواء أو طعام على من يلجأ إليه من الأغنياء ومن جاء إليه مستوصفًا.

وقال ابن جُبير في رحلته سنة ٥٨٠هـ: وبدمشق مارستان قديم وحديث، والحديث أحفلهما. يقول عنه: وجِرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارًا، وله قَوَمَة وبأيديهم الأزِمَّة (الدفاتر) المحتوية على أسماء المرضى، وعلى النفقة التي يحتاجون إليها من الأدوية والأغذية، وغير ذلك مما يليق بكل إنسان منهم، والأطباء يتفقدون المرضى، ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية(١).

وظل البيمارستان النوري عامرًا يُعالج فيه المرضى إلى سنة ١٨٩٩م؛ حيث بُني المستشفى الحميدي الذي أقامه السلطان عبد الحميد، وهو مستشفى على النظام الطبي الحديث.

آلات الجراحة والكحالة عند العرب:

مقال طريف فريد في موضوعه وفي توقيته؛ إذ نُشر عام ١٩٢٥م بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بمناسبة انتخابه عضوًا به.

قال في موضوع مقاله: "إنه مقال عما كان يعرفه العربي من الآلات والأدوات الطبية، يذكر مسمياتها ومواضع استعمالها، ويصورها بما يكشف عن طبيعتها".

وكان يقصد من ذلك أمرين؛ الأول: تذكير الأذهان بما كان عليه السلف الصالح من علم ومعرفة، والثاني: التسهيل على المشتغلين بالنقل والترجمة في عملهم، وفتح الطريق أمام أعينهم.

---

(١) تاريخ البيمارستان في الإسلام، ص١٣٠، وكان وصفه هنا للبيمارستان القديم، وقد أطال في وصف البيمارستان الجديد، واكتفينا بما سبق.

وقد أوجز أحمد عيسى الحديث في مطلع هذا المقال عن تاريخ الطب عند العرب...[1].

ويلاحظ أن حركة الترجمة والتأليف التي تمت في عهد العرب الزاهر كان الحظ الأوفر مما ترجموه وتمرَّسوا فيه كان عن علم الأمراض والعلاج، ولم يكن للجراحة حظٌّ كبير من عنايتهم لقلة ممارستهم علم التشريح، فلم يزيدوا عليه أكثر مما نقلوه عن اليونان.

ويمضي أحمد عيسى في تأريخه للطب عند العرب، فيرى أن الأطباء العرب كانوا يذكرون العمليات الجراحية، وقلَّما اهتموا بها أو أجروها، ولم يبتدئ اشتغالهم بعلم الجراحة واهتمامهم به علمًا منفردًا متميزًا إلا في عصر متأخر.

وأول من اهتم عندهم بالجراحة محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١هـ أو ٣٢٠هـ)، بَيْد أنه كان يذكر العمليات في مؤلفاته ويترك تنفيذها للجراحين، وكذا كان يفعل علي بن عباس المجوسي (ت ٣٨٤هـ)، وأتى بعده أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، فتحدث كثيرًا عن العمليات ولم ينفذها.

وفي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ازدهر العصر الأندلسي بأبي بكر محمد بن مروان بن زهر (ت ٤٣٣هـ)، وقد جمع بين الطب والجراحة.

وصاحب النصيب الأوفر في إجراء العمليات الجراحية بالإضافة إلى الطب النظري هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت ٥٠٠هـ)، واشهر مؤلفاته كتاب: (التصريف لمن عجز عن التأليف)، وهذا الكتاب قسمان: نظري وعملي، والقسم العملي هو الجزء الحادي عشر وأوله المقالة العاشرة، والمتضمن العمل باليد والصناعة الطبية، وينقل عنه قوله: "هذه المقالة هي جزء العمل باليد؛ لأن العمل باليد مَخَسَّة في بلدنا، وفي زماننا معدوم الْبَتَّة، حتى كاد

(١) مجلة المجمع العلمي العرب، مجلد ٥، ص٢٥٤.

يندرس علمه وينقطع أثره.. ثم يقول: ترى صوت حدايد الكَيِّ وسائر آلات العمل باليد مع زيادة البيان ومن وَكِيد ما يُحتاج إليه".

يشرح أبو القاسم العمليات ويبيِّن آلاتها بشرح مستوف لم يسبقه إليه أو يأتي بعده مَن عمل عمله، أو أفرد العمل باليد في كتاب خاص[١].

معجم لآلات العمليات الجراحية والعُدَد التي وردت في كتاب (التصريف):

صنع أحمد عيسى هذا المعجم الهام على الترتيب الهجائي للحروف مستعينًا في صنعته بنسخة مطبوعة من كتاب الزهراوي في أكسفورد ١٧٧٨م بالعربية واللاتينية، وبترجمته الفرنسية المطبوعة بباريس ١٨٦١م، وبكتاب (تاريخ الجراحة وممارستها) تأليف (كولت) الذي طُبع بالإسكندرية ١٩٠١م، وبمراجع أخرى بالعربية وبغيرها من اللغات، وألحق هذا المعجم الصغير بجدول أسماء الآلات الجراحية التي كانت تُستَعمَل في أمراض العين مشفوعًا بصورها، كما جاء في كتاب (الكافي في الكحل) لأبي المحاسن الحلبي (من أهل القرن الثالث عشر الميلادي)، بل استعان أيضًا بصور بعض الآلات التي عُثِر عليها في أثناء التنقيب في خرائب مدينة الفسطاط القديمة والمحفوظة في المتحف العربي بالقاهرة[٢].

وهذه بضع أمثلة مختصرة من معجمه:

(مِبْرَد) من حديد يُبْرد به الضرس النابت على غيره المتمكن، نصابه دقيق النفش كالمبرد، ليبرد به الضرس قليلًا قليلًا، وكذلك الضرس الذي انكسر بعضه وباقيه يؤذي اللسان عند الكلام.

(مِبْضع) وأنواعه كثيرة، ومن أمثلته مبضع لشق الجلد فوق الشرايين لربطها، وآخر لشق الأورام والتجمُّعات الصديدة كالمشرط المدوَّر، إلا أن نَصْله مستدير.

---

(١) السابق، مجلد ٥، ص٢٥٥.

(٢) مجلة المجمع العلمي العرب، مجلد ٥، ص٢٥٦.

(مِشْرط) هو آلة تُشَقُّ وتُسْلَخ بها السلوع والأورام، وهي ثلاثة أنواع: كبار ومتوسطة وصغار، وهذه المشارط عريضة النَّصْل، وأحد طرفيها حاد والآخر غير حاد، وقد جُعلت ليستعان بها في شق السَّلْعة.

معجم الأطباء:

عمل موسوعي كبير لا ينهض به إلا أمة من العلماء، ألَّفه وحده على غرار ما كتبه علماء العصر الحديث في الغرب في تاريخ العلوم، وما صنعه العرب في ذلك من قبل. يقول عن اهتمام الغرب بتاريخ العلوم: أُنشِئت المعاهد، وكُوِّنت الأقاديميات، وحُرِّرت المجلات لدراسة تاريخ العلوم، وذلك كـ (معهد كارنجي) في واشنطون، و(أقاديمية تاريخ العلوم الدولية) بباريس، وقد كان عضوًا بهذه الأقاديمية.

وقد جعله أحمد عيسى تراجم للأطباء من سنة ٦٥٠هـ إلى يومنا هذا، يعني وقت إصداره ١٩٤٢م، ثم ظهرت له نشرة مصوَّرة سنة ١٩٨٢م، وعَدَّه استكمالًا أو ذيلًا لكتاب (عيون الأنباء في طبقات الأدباء) لابن أبي أصيبعة (ت ٦٨٨هـ)، وهو أوسع ما كُتب قديمًا عن الأطباء.

رتَّب أحمد عيسى معجمه بحسب حروف الهجاء باعتبار الأسماء الأصلية بقطع النظر عن الكُنَى والألقاب، إلا إذا كانت هي الأسماء الأصلية أو اشتهر بها أو أي اسم آخر عرفوا به.

وذكر أحمد عيسى في مقدمته عددًا كبيرًا مما ألَّفه كبار العلماء عن الأطباء.

ويقول عن هذه الكتب إنها تُترجم للأطباء إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري، وأجمعها للأطباء كتاب ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء)، ولم يُصنَّف بعده إلى وقتنا هذا كتاب يشمل تراجم الأطباء كافة.

ويرى أن تراجم الأطباء بعد الذين ترجم لهم ابن أبي أصيبعة إلى بداية عصر النهضة في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر صارت مبعثرة ومشتَّتة في سائر الكتب على اختلاف أوضاعها.

وقد أبى الرجل إلا أن ينهض بهذه المهمة الثقيلة التي لا ينهض بها إلا أولو العزم، "عقدتُ العزم على تذليل هذه الصعوبة، ورجعت إلى كتب التاريخ والطبقات والوفيات والتراجم، وإلى الكتب الخاصة بكل عصر، وذلك من القرن السابع الهجري إلى اليوم، فاجتمع لديَّ من التراجم ما يزيد على تسعمائة ترجمة، فنقلتها كما وردت في مصادرها الأصلية، ونبَّهت على الأصل المنقول عنه"(١).

ويكفي في بيان عظمة هذا العمل أنه ذكر المصادر التي استمد منها مواد كتابه، وهي مرتَّبة بحسب حروف الهجاء في أسماء الكتب وأسماء الأطباء الذين ترجموا فيها، فبلغت ثمانية وسبعين مصدرًا بالعربية، وثمانية عشرة باللغات الأجنبية.

تاريخ النبات عند العرب:

هذا الكتاب الفريد في تاريخ العلم مختصر في تاريخ النبات عند العرب، والأطوار التي طرأت عليه في استعماله في الزراعة والعطارة والتداوي، وما تفنَّن فيه العرب في جميع البلدان من التجارب المفيدة في ارتقائه من جميع النواحي.

جاء الكتاب في أربعة نواحٍ:

١.دراسة النبات في قلب جزيرة العرب وعلاقته بصحيح اللغة العربية.

٢.دراسة تاريخ النبات باعتباره من العقاقير أو ما يُسمَّى بـــ (المفردات الطبية).

٣.دراسة النبات من وجهة الفلاحة.

٤.دراسة ما دوَّنه العرب في رحلاتهم وكتبهم مما رأوه واختبروه من النبات في جميع الأقطار التي جابوها خارجًا عن بلادهم الأصلية.

---

(١) معجم الأطباء، ص٣، ٤.

اللغة العربية والنبات والشجر:

كان للنبات والشجر من عناية العرب منزلة الضرورة الماسة؛ لما يحتاجونه منها لرعي ماشيتهم، يرتادونها في كل مكان صيفًا وشتاءً، وكانت هذه النباتات تشغل حيزًا كبيرًا من لغتهم، واتصلت بهاته اللغة اتصالًا وثيقًا، فدُوِّنت مع اللغة وحُفظت في دواوينهم جزءًا لا ينفصل عنها.

وكان علماء العربية يرحلون إلى البادية ليأخذوا عن أهلها اللغة النقية الفصيحة، ومنها ما يتصل بالحيوان والنبات والأنواء والمياه... إلخ.

ومن العلماء الذين جمعوا أسماء النبات والشجر ودوَّنوها وصنَّفوا فيها المؤلفات من حيث إنها جزء من اللغة:

– الخليل بن أحمد (ت ١٨٠هـ): وفي معجمه الرائد (العين) جملة صالحة من أسماء النبات والشجر.

– الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك (ت ٢١٦هـ): وله كتاب (النبات والشجر).

– ابن السِّكِّيت، أبو يوسف يعقوب (ت ٢٤٣هـ): وله تصانيف جيدة ككتاب (النبات والشجر)[١].

– أبو حنيفة الدِّينَوري (ت ٢٨٢هـ): قال عنه أبو حيان: "أبو حنيفة من نوادر الرجال، له في كل فن ساق وقدم". أما كتابه في النبات فهو في الذروة في معرفة النبات وخواص الأدوية، استقصى أبو حنيفة في كتابه ما نطقت به ألسنة العرب من أسماء النبات، سواء ما يختص منها بنص اللغة أو بالنبات من جهة شرحه شرحًا علميًّا بعد معاينة النبات في أماكنه وملاحظته بنفسه... ولم يترك أبو حنيفة شاردة ولا واردة إلا أثبتها في كتابه حتى فاق بهذا المصنَّف ما تقدَّمه من علماء اللغة ومدوِّنيها والباحثين في النبات.

(١) انظر في اللغويين الثلاثة وجهودهم: تاريخ النبات، ص١٢، ١٤، ١٥، ٢٠.

وقد صار هذا الكتاب عمدة اللغويين الذين أتوا بعده، فما منهم إلا ونقل عنه، وعمدة الأطباء والعشَّابين، فلا يتخرَّج طبيب أو يُبَرَّز عشَّاب إلا بعد أن يستوعب كتابه، ويؤدي الامتحان في مواده.

ولم يقتصر الأخذ عن أبي حنيفة على كتب اللغة، بل نقلت عنه أكثر كتب المفردات الطبية ككتاب (الجامع لمفردات الأدوية) لابن البيطار (ت ٦٤٦هـ)، فقد نقل نحو ١٣٠ حرفًا عن أبي حنيفة.

وقد ظل كتاب أبي حنيفة في الوجود يتناقله الخَلَف عن السَّلَف زمنًا طويلًا، وبكل أسف فُقِد من الوجود الآن ولم تبقَ منه إلا أوراق، وما نقله العلماء عنه(١).

– ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ): له كتاب (المخصَّص) من أوعب مصنَّفات اللغويين في النبات والشجر.. ومن أبوابه ما خصَّه بالأرض ونعوتها، وما يتعلق بها من خِصْب وجَدْب، وحَرْث وإمراع، وما يتعلق بالعشب والكلأ، ثم أبواب في الشجر من حيث أوصافها العامة وتوريقها وتنويرها، وأوصافها من حيث كثرة الورق أو قلته، وأثمار الشجر والنبات وآفات الزرع... وأدوات الزرع والقطع، ثم أبواب في أعيان النبات والشجر والبُرِّ والشعير والفاكهة والرياحين وسائر النبات الطيب الريح... إلخ. ويقول أحمد عيسى عن ابن سيده: "إنه لم يدع حرفًا من كتاب النبات لأبي حنيفة إلا نقله"(٢).

النبات من حيث الوجهة الطبية:

تبدأ معرفة العرب للنبات من الوجهة الطبية؛ أي باعتباره من العقاقير منذ بدأت الدولة الإسلامية تأخذ في أسباب المدنية والتحضُّر، وأخذوا ينقلون عن الأمم الأخرى، ولا سيما عن اليونان والهند وكذلك عن النَّبط.

---

(١) تاريخ النبات عند العرب، ص٢٨: ٣٤.
(٢) تاريخ النبات عند العرب، ص٣٠، ٣١.

وأول علم عُنِي به العرب الطب، والبحث في العقاقير وتحضيرها وبيان منافعها، ومن أشهر الأطباء الذين عُنوا بالعقاقير ثياذوق (ت ٧٠٨هـ)، وله كتاب في الأدوية وكيفية دفعها وإيقاعها، وفي زمن عمر بن عبد العزيز ترجم ماسَرْجويه الجزء الثاني من كتاب (الأدوية المفردة) لجالينوس.

وفي الدولة العباسية اشتهر أصطفن بن بسيل بنقل كتب النبات إلى العربية، ومن أهم ما نقله كتاب (الحشائش) لديسقوريدس، وكان كتاب (الحشائش أو هَيُولي علاج الطب) لديسقوريدس أشهر كتب النبات التي اهتم بها العرب. قال عنه القفطي: "هو أعلم مَن تكلَّم في أصل علاج الطب، وهو العلَّامة في العقاقير المفردة".

وقد تُرجم الكتاب غير مرة، وأصلحه وزاد فيه حنين بن إسحق وغيره[١].

ومن أشهر نَقَلَة مصنَّفات النبات الطبيب حنين بن إسحق (ت ٢٦٤هـ)، ومن ذلك كتابه في (الأدوية المفردة)، وكتابه في (تركيب الأدوية)، وكتابه في (أسماء الأدوية المفردة) على حروف المعجم، وكتاب (الفلاحة)... إلخ.

وكان كتاب الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ) (القانون) من أجمع الكتب في فنون الطب القديم، وفي الكتاب قسم خاص في الأدوية المفردة رتبها أبجديًّا ليسهل على المشتغل بها التقاط منافع كل دواء، فذكر أولًا: ماهية الدواء، ثم اختياره، ثم طَبْعه، ثم الأفعال، ثم الخواص.

وممن عُني بالنبات موفَّق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ)، وله كتاب فريد هو (مختصر أخبار مصر)، جعله في مقالتين، ولكل مقالة فصول، ومن أهم فصول المقالة الأولى: ما تختص به مصر من النبات، ذكر ما شاهده بمصر وما درسه من نباتها وأشجارها: الملوخية والخَطْمِي، ونوعٌ من الخُبَّازى يُسمَّى (ملوخية السودان)، وأفاض في شرح نبات مصر وشجرها، مثل حديثه

(١) انظر في ذلك وفي أمثلة من هذه التراجم، ص٣٨: ٤٥.

عن شجرة اللبخ، وذكر كذلك القلقاس والموز وشجرة القرظ والفقُّوس، وهو نوعٌ من القِثَّاء، والبطيخ العبدلي والعجُّور[١].

ويواصل أحمد عيسى حديثه المفصل عن العلماء الذين دوَّنوا هذا العلم وصنَّفوا فيه في مصر في الدولة الإخشيدية والفاطمية والأيوبية، ويقف طويلًا عند الحكيم ضياء الدين بن البيطار (ت ٦٤٦هـ)، علَّامة وقته في معرفة النبات، وتحقيقه واختباره ومواضع نباته، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها، وكتابه (الجامع في الأدوية المفردة) من أشهر كتب هذا الفن، ضبطه على حروف المعجم ليسهل الانتفاع به، وقد تُرجم إلى الفرنسية وإلى الألمانية.

ونقل أحمد عيسى عن (لكرك) جملة من المواد الطبية التي أدخلها العرب في العقاقير لفائدتها[٢].

ثم ينهي هذا الجزء من كتابه بالحديث عن علماء الأندلس والمغرب، فيُترجم لإسحق بن عمران (كان عائشًا في أواخر القرن الثالث الهجري)، ومقالاته في النبات والمفردات، ويُترجم لابن جُلجل أبو داود سليمان بن حسان (ت ٤٠٠هـ تقريبًا)، وكان طبيبًا فاضلًا خبيرًا في أيام هشام المؤيد بالله، وله عناية بقُوَى الأدوية المفردة، وهي تدور حول كتاب (الحشائش) لديقوريدس، وقد أفصح ابن جلجل عن أسماء الأدوية، وأوضح مستغلق مضمونها[٣].

ويترجم لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت ٥٦٠هـ)، وكان أعرف أهل زمانه بقُوَى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها، ومعرفة أسمائها من أصلية وبربرية وعربية[٤].

---

(١) انظر: تاريخ النبات، ص٦١: ٦٣.

(٢) تاريخ النبات، ص٧٥، ٧٦.

(٣) تاريخ النبات، ص٧٩، ٨٠.

(٤) تاريخ النبات، ص٨٢.

تاريخ النبات من وجهة الفلاحة:

لم يقتصر العرب في معرفتهم من جهة النبات على ما قيَّدوه من أسمائها، وذكروه من صفاتها وخواصها، مما نقلوه عن الأمم الأخرى المحيطة بهم والمجاورة لهم، بل اشتغلوا كذلك بالنبات من حيث زرعه وتسميده وحصاده وأوقات ذلك كله، والكيفية في عمله، وهو ما يُسمَّى بـــ (الفلاحة).

وكان من الأمم التي أخذوا عنها الفلاحة الروم والنَّبط والفرس، فدرسوا فلاحة هاتيك البلاد، ونقلوا كتبها إلى العربية.

الفلاحة الرومية (اليونانية):

من أشهر مَن نقلت العرب عنهم شؤون الفلاحة قسطا بن لوقا (ت ٣١١هـــ)، وهو طبيب حاذق بارع في علوم كثيرة، وله كتاب (الفلاحة الرومية)، وهو شرح لكتاب قسطاس الحكيم، والكتاب من ١٢ جزءًا، وفي كل جزء جملة أبواب .

نقتصر هنا بالإشارة إلى بعض ما حواه:

– ما لا غِنى للزارع عن معرفته من أحوال البَذْر، وما يشاكله من الأرض، وأوقات البذر والحصاد، وأمور تتعلق بالدِّراس والخَزْن.

– غرس رقيق الأشجار التي تُتَّخَذ في البساتين وتركيبها وصيانة ثمارها وادخارها، وما شاكل ذلك من مداواة الأشجار من الآفات، وما يُحفظ به صحاحها من الآفات[1].

الفلاحة النَّبطية:

تُنسَب الفلاحة النبطية إلى سكان بابل الأقدمين، وسُمُّوا نبطًا لاستنباطهم المياه للزرع، وإفلاح الأرض؛ ولذلك طار صِيتهم في الزراعة والفلاحة.

ومن آثارهم في الفلاحة يذكر أحمد عيسى عددًا كبيرًا من المؤلفين في هذا المجال.

---

(١) تاريخ النبات، ص٩٥، ٩٦.

ولعل أشهر من ألَّف في ذلك أبو بكر بن وَحْشية (ت ٢٩١هـ)، وله كتاب (الفلاحة الكبير والصغير).

الفلاحة الأندلسية:

ازدهرت الأندلس بالزراعة والفلاحة في عهد العرب ازدهارًا بديعًا سار ذِكْره في الآفاق، وكان استعداد أرضها واعتدال مناخها، وكثرة أنهارها العامل الأكبر في صلاح هذه البلاد السعيدة للزراعة، ونجاح العرب في استثمارها واستغلال أرضها. وقد كتب علماء العرب كثيرًا عن فلاحة الأندلس مما نقلوه عن اليونان والنَّبط والفُرْس والعرب.

ومن أشهر المصنِّفين في الفلاحة أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوَّام الإشبِيلي (كان حيًّا في ٥٥٣هـ)، ألَّف ابن العوام كتابه (كتاب الفلاحة)، وهو كتاب كبير من جزأين، وفيهما ٣٥ بابًا، لكل باب موضوع خاص بالفلاحة[١].

النبات عند جُغرافِيِّ العرب ورُوَّادهم:

ويُنهِي أحمد عيسى كتابه الفريد بالحديث عن (النبات عند جغرافِيِّ العرب ورُوَّادهم). يقول: كتب الذين طافوا البلاد من الجغرافيين والرَّحالة وارتادوا البِقاع وسجلوا ما شاهدوه بأنفسهم من النبات في مختلف البقاع، ودوَّنوه في كتبهم، ومن أشهر هؤلاء: ابن رسته (ت ٢٩٠هـ)، وابن فضلان (من علماء القرن الرابع الهجري)، والشريف الإدريسي، والقزويني (ت ٦٠٥هـ)، وعبد اللطيف البغدادي، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)[٢].

---

(١) تاريخ النبات، ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) تاريخ النبات، ص١١٣: ١١٩.

المحكم في أصول الكلمات العامية:

معجم كبير في أصول الكلمات العربية، بلغ عدد كلماته أربعة آلاف كلمة ومائتان، ناهيك عمَّا تحت كل كلمة من إحالات ومن معلومات غزيرة وتحليلات دقيقة، ظهر الكتاب سنة ١٩٣٩م.

وضع الدكتور أحمد عيسى لمعجمه مقدمة ضافية يتحدث فيها عن اللغة العامية المصرية وعلاقتها بأصلها الفصيح وانحرافها عنه، ويستفيض في تاريخ اللحن الذي أصاب العربية عبر الزمن، ويبيِّن أسبابه من داخل العربية نفسها أو من خارجها، ومن بين ما قاله في ذلك:

– اللحن في العربية قديم، وأول ما عُرِف منه كان في عهد النبوة، ويستشهد على ذلك بما قاله النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– بشأنه، وافتخاره بأنه لا يأتيه اللحن؛ لأنه من قريش وهم أفصح العرب، وبما قاله عمر ابن الخطاب عن لحون بعض الكُتَّاب في عصره ونقده لهم، وكان الخلفاء على ذِكْر من الحث على مقاومة اللحن، ومن تحذير الكتَّاب منه... إلخ.

– اللغة العربية لهجات تختلف باختلاف القبائل في قلب الجزيرة وفي بُعْدها أو قُرْبها من الأمم المجاورة لها.

وينقل عن ابن فارس ما قاله عن لغة قريش وأنها أفصح العرب وأبعدها عن اللحن، وعن لهجات القبائل التي لم تَعْتَدَّ بها النحاة واللغويون الذين استنبطوا نحو العربية من كلامهم ووضعوا معجمها، مثل: لَخْم وجذام وغسَّان وإياد... بسبب اختلاط لغاتها بلغات مجاوريهم من الأمم.

– نزل القرآن بلغة قريش، فمنحها فضلًا وزادها ضبطًا وإحكامًا، وكان للعرب نِبْراسًا، ولألسنتهم هاديًا ومرشدًا، وقانونًا يسيرون على مقتضاه، وقد كان القرآن المثل الأعلى للفصاحة والبلاغة، وأصبح – حتى الآن – هو الحافظ

للعربية من الضياع أو التغيير أو التبديل.

– يُفصِّل أحمد عيسى نقلًا عن ابن فارس والسيوطي في الحديث عن الرَّدِيء والمذموم من لغات العرب، كالكَشْكَشة والعَجْعَجة والوَتْم... إلخ.

وفصَّل القول في وجوه الاختلاف بين لغات العرب، وينقل عن ابن فارس والسيوطي أمثلة لكل وجه مقرونًا بلغة قريش.

– ثم يتحدث عن اتساع العربية حتى قال بعض الفقهاء: إنه لا يُحاط بها، ويستشهد بقول الشافعي – رضي الله عنه– : "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا وأكثرها ألفاظًا".

– ثم يتحدث عن مخالطة العرب للأمم التي فتحوها، ويستشهد بما ذكره ابن خلدون من انتشار العربية بين هذه الأمم واتخاذها لغة لها، بَيْد أن الفصحى بطول الزمان وتعدُّد المكان لم تبقَ على حالها الأول، بل تغير حالها وفَسَد اللسان العربي بمخالطة اللسان العربي لألسنة هذه الأمم(١).

العامية المصرية وعلاقتها بالفصحى:

وهذا هو مقصود أحمد عيسى من كتابه، يقول: "اللغة العربية العامية التي نتكلمها الآن في مصر ليست بعيدة كل البُعْد عن العربية الفصحى، وهي تبعتد عن الفصحى في شيئين: الإعراب، وتركيب الحروف. أما الإعراب وهو الإبانة عن المعاني بتغيير أواخر الكلم، والرجوع إليه يكاد يكون مستحيلًا؛ لأن اللغة تُؤخَذ اعتيادًا، والفصحى إنما تُؤخَذ تلقُّنًا من ملقِّن، وهذا إن تيسَّر للبعض فإنه يتعسَّر على الأكثرية.

وأما تركيب الحروف فأكثر حروف اللغة – وإن أصاب بعضها تغيُّر قد يكون عظيمًا– لا يزال يَقْرُب من الأصل الفصيح. وهذا التغيير يُنسَب إلى خصائص العربية وسننها في اللهجات العربية، وقد تكون في القديم من أفصح

(١) المحكم، ص (ج: ي).

الكلام العربي، ولكنها قد تكون اليوم مستنكَرة وبعيدة عن أذواقنا.

ويشير إشارة هامة إلى أن كثيرًا من العامي قد يتضمن مجازات لطيفة واستعارات مُستَمْلَحة.

ثم يُشير إشارة لغوية عبقرية فيقول: "اعلَمْ أن التغيُّر في الكلمات الفصيحة لم يحدث مرة واحدة، بل إن هذه الألفاظ قد تعاورتها أدوار من التغيير تناوبتها مرة بعد مرة، وأنه كانت هناك عامية عُلْيا وعامية سُفْلى أتت بعد الأولى وزادت عليها في تغيير ألفاظ اللغة. وهي ملاحظة بديعة تُنبِئ عن إدراك عميق بالتطور اللغوي عبر الأزمان"(١).

أسلوب أحمد عيسى في معالجة الألفاظ العامية:

يقول: "لقد تيسَّر لي جَمْع الكثير من مفردات العامة، وعملت على تحقيق أصولها، ورَدِّها إليها، ورتَّبتها في هذا السِّفْر بحسب حروف الهجاء"(٢).

وقد أهمل حرفَيْ الثاء والذال، ولم يبيِّن سبب ذلك، وفي تقديرنا أنه لم يَعُدّهما من فونيمات العامية؛ أي: وحدات نظامها الصوتي، وأن قلب الثاء إلى تاء، والذال إلى دال مُطَّرِد فيها. ومع ذلك فقد تعرَّض لهذين الحرفين حين يكونان عين الكلمة أو لامها.

ثم يقول: "ذكرتُ اللفظ العامي أولًا، وبجانبه تفسيره عند العوام، ثم أتيت بالأصل الفصيح، وذكرت تفسيره في معجمات اللغة، كاللسان والتاج، وبيَّنت الحقيقة والمجاز".

ولم يكتفِ أحمد عيسى بالعامي الذي له أصل فصيح يُرَدُّ إليه، بل أضاف إليه المُعرَّب الذي عرَّبته العرب قديمًا، والدخيل الذي عُرِّب حديثًا، ورَدَّه إلى اللغة التي عُرِّب منها.

---

(١) انظر مثال ذلك ما نقله عن لسان العرب في مادة (قرطب) عن (القرطبان).

(٢) المحكم، ص (ع، ف).

الألفاظ المعرَّبة والدخيلة في العامية:

من الألفاظ المعرَّبة والدخيلة التي سجَّلها وفسَّرها في معجمه وردَّها إلى أصولها:

(أبعادية) يُسمُّون الأراضي الزراعية التي يملكها شخص في جهة واحدة (أبعادية): "آباد" كلمة تركية بمعنى محل أو مكان معمور أو مزرعة، وجمعها "أبادان"، فحُرِّفت إلى "أبعادية".

(إسْبَلايِط) قطعة من نسيج أو معدن تُوضَع فوق الكتف تحمل علامات الدرجات العسكرية، مفردها اسبليطة: كلمة إيطالية Espalada، وبالفرنسية Epaulett بمعنى كَتَفِيَّة.

(أَسْتِيكة) جِلدة تُمحَى بها الكتابة، أو جلدة تُمطَّط: كلمة يونانية الأصل Elastic، وأُدخِلت في أكثر اللغات الأوربية.

(بارچة) اسم سفينة حربية: كلمة إفرنسية، أخذها التُّرْك أولًا فقالوا: بارچه، ثم نقلناها عنهم.

(بَفْتَة) القماش الأبيض المعروف "بافْتَه": كلمة فارسية بمعنى منسوج، مبروم، مجدول من الفعل "بافْتَن".

(بُفْتِيك) مَشوِيّ لحم العجل المعروف: هي إنجليزية Beefteok شريحة من لحم العجل.

(بَقْلَاوَة) وكلنا يَشْتَهي أكلها، "بَقْلَو أو بَقْلاو": كلمة تركية، من الفطائر الحلوة المقطَّعة قِطعًا صغيرة.

(تُوكَة) محبس في ملابس السيدات "تُوقَة وطُوقَة": تركية بمعنى إبزِيم، أخذها الترك عن الإيطالية Toga، ونقلناها عنهم.

(كُشَرِي) وهو الطعام اللذيذ المعمول من الأرز والعدس "كِچْرِي": كلمة هندية، طعام من الأرز وبعض البقول كالفول والبِزلة، وهو طعام الهند، وفي مصر يُعمَل بالأرز والعدس والزُبْدَة.

ومن يرجع إلى المعجم يجد كلمات كثيرة عُرِّبَت قديمًا وحديثًا، يردها إلى أصولها ويفسِّر معانيها وما قد يُصيب معناها من تغيُّر بعد تعريبها.

واكتفينا بالكلمات السابقة للتوضيح فحسب، وثمَّة كلمات أخرى أرجعها إلى بعض اللغات السامية وإلى اللغة اليونانية، ورسمها بحروفها الأصلية، ولم نتمكن من رسمها في هذا البحث؛ إذ لم نجد سبيلًا لهذه الرسوم.

العامي من أصول عربية:

عالج أحمد عيسى الكلمات التي تستعملها العامة في عصره في وجوه من المعالجة، وفسرها تفسيرًا يُبيِّن أصولها من الفصحى أو إحدى لهجاتها، وقد اجتهد في ذلك اجتهادًا أهَّله له معرفته الواسعة وتعمُّقه في التحليل، وربما خالف في علاج بعض الكلمات ما عليه بعض المصنِّفين الآخرين، وهذا لا يضير عمله في شيء. (ولكلٍّ وجهةٌ هو مولِّيها).

الجهة الأولى من التفسير ما نُقِل من الكلمات من معناها القديم إلى معنى جديد، وهو ما يُعرَف بـــ (المجاز).

ومما فسَّره على المجاز – وأمثلته كثيرة – نكتفي بما يأتي:

(أَبَدَّ) تقول: فلان هذا أَبَدّ، تريد أنه لا يُبالي، أو لا يشعر بواجب. الأَبَد: الوحش، وأَبَدت البهيمة تأبُد: توحَّشت، فاستُعِير للإنسان.

(جَلَط) بمعنى مسح وأزال شيئًا من فوق شيء آخر. جلط رأسَه يجلُطه إذا حلقه، فاستُعِير لإزالة أو نَزْع شيء من فوق شيء آخر.

(بايخ) إذا سمعت كلامًا لا يتفق ومقتضى الحال قلت: دا كلام بايخ، تريد أنه فاتر. باخ الرجل يبوخ: سكن غضبه. وباخت النار: سكنت وفترت، فاستعمالها مجازي.

(رَدْح) تقول لاثنين يتشاتمان: إنهما يردحان. الرَّدْح والترديح: بسطك الشيء بالأرض حتى يستوي، فالمعنى مجازي.

(رَغْي ورغَّاي) تقول لمن كَثُر كلامه: رَغَّاي. ويقولون: كَثُر رَغْيُك. الرُّغاء: صوت الإبل، فاستُعير لصوت الإنسان عند كلامه.

الجهة الثانية: إبدال حرف بحرف.

ومما فسَّره على ذلك:

- **قَلْب القاف همزةً:**

(أَمَّر العيش) تقول لطاهِيك: أَمِّرْ العيش. الجَمْر: النار المتقدة؛ أي أنضجه على الجمر.

(أَرَّ) تقول ذلك لمن يُكثِر من كلامه. والقَرُّ: ترديدك الكلام في أُذن الأبكم حتى يفهمه، واستُعير أيضًا للدلالة على ما يحدث في المعدة من قَرْقَرة.

وقلب القاف همزةً مُطَّرِدٌ في كلامهم، وفي عديد من عاميات البلاد العربية.

- **قلب التاء دالًا:**

(دِكَّة) تقول للرباط الذي يربط السِّرْوال: دِكَّة. التِّكَّة: واحدة التِّكَك، وهي تِكَّة السروال.

(هَبَدَ) تقول: شِلْتُه وهبَدْتُه، من هَبَتَه يهبته: أي ضربه.

- **قلب الثاء تاءً:**

(شَبَت) حشرة ذات أرجل كثيرة. الشَّبَث: دُوَيْبة كثيرة الأرجل، عظيمة الرأس، من الأحناش.

(نَكَت) تقول العامة: فلان شاله ونكته حتى كسر عظامه. والنَّكث: نَقْض العهد، فاستعماله في الأذى مجاز.

- **قلب الذال دالًا:**

(جَدَع وجِدْعان) تقول: فلان مات له جَدَع في العام الماضي، تريد شابًّا. والجَذَع: الصغير السن.

وهو مطرد في كلامهم، وفي عديد من عاميَّات بعض البلاد العربية.

- **قلب الراء لامًا:**

(لهط) تقول: فلان بِيلْهَط في الأكل، تريد يزيد في حجم اللُّقمة ويبلعها بمرَّة. من الترهيط: عِظَم اللُّقمة وشدة الأكل.

- **قلب السين صادًا:**

(مَنْصَر) يُسمُّون الجماعة المشتركة من اللصوص (مَنْصر)، والمَنْسر من الخيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وقيل أكثر من ذلك، فاستُعِير للصوص.

(هَجْص وهَجَّاص) تسمع كلامًا من أحدهم لا تقبله، فتقول: دا هَجْص. وانت هجَّاص. والهجاس: المتكلِّم بالهَجْس، وهو النبأة تسمعها ولا تفهمها.

(لَغْوَص) تقول لمن يعبث بشيء سائل يدعو إلى الوساخة والاشمئزار: بلاش لَغْوَصَة. اللَّغْوَسة: سرعة الأكل وغيره، فاستُعِيرت للقَذِر.

- **قلب الشين سينًا:**

(غَطِيس) تقول: أسود غطيس، أي شديد السواد، من الغطاش: ظلمة الليل واختلاطه، وقد أغطش الليل.

- **قلب الصاد سينًا:**

(سَكَّ) تقول: سُكّ الباب أو الشباك. صَكَّ الباب صكًّا: أغلقه، وتقول أيضًا: سك فلان قلم، أي ضربه. والصّكُّ: الضرب.

- **قلب الصاد شينًا:**

(فَقَش) تقول: فَقَشت البيضة أو أي شيء أجوف، تريد كسرته، من فَقَص البيضة: كسرها.

- **قلب الظاء ضادًا:**

(لَضَى) تقول: فلان على اللَّضَى، أي لا يملك شيئًا. واللَّظَى: النار، فكأنه يتحرَّق من الحرمان.

(لَمَاضَة) إذا رأيت إنسانًا يتفصَّح في الكلام ويُطوِّل، تقول: إيه اللَّماضَة دِي. من تحريك اللسان في الفم بعد الأكل. واللَّماظة: الفصاحة وطلاقة اللسان.

- **قلب الطاء دالًا:**

(مِدَغْمِش) تقول: فلان عينه مِدَغْمِشة، أي ضعيف البصر. من الطَّغْمَشة: بمعنى ضعف البصر.

- **قلب اللام طاءً:**

(مَرْمَط) ترى ولدك الصغير، وقد وسَّخ ملابسه بالتراب: مَرْمَطَّ هُدُومك. من تَمَرْطَل الصبي في الطين: أي توسَّخ.

- **قلب العين غينًا:**

(لَغْمَط) تقول عن ولدك: الولد لَغْمَط نفسه، أي يأكل بغير نظام وبإهمال. اللَّعْمَطة: انتهاش العظم ملء الفم، واستُعِيرت لكل وساخة يوسِّخ الطفل بها نفسه.

- **قلب الكاف قافًا:**

(قَاوَح ومقاوَحة) تقول: فلان دائمًا يقاوِحْني، تريد يكابرني فيما يقول. من كاوحت فلانًا: إذا قاتلته فغلبته.

- **قلب العين هاءً:**

(دَهَس) تقول: الكلب دَهَسه التِّرام. الدعس: شدة الوَطْء.

وبعد، فقد مثَّلنا ببعض ما في المُحْكَم من كلمات، ولم نتوسَّع في ذلك؛ لأنه قد يخرج عن المسموح به من كلمات.

التهذيب في أصول التعريب:

يتحدث أحمد عيسى في مقدمة كتابه الذي صدر عام ١٩٢٣م عن العقبات والصعوبات التي كان يقابلها حين يقرأ في الكتب العربية والأجنبية، ويدرس ما فيها هو وغيره من القراء والباحثين.

يقول: وكانت العقبات أمامي عقبتين:

الأولى: قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأعجمية.

والثانية: تعريب بعض ما اقتضى تعريبه من المصطلحات التي لا يمكن إيجاد لفظ يقابلها ويحلُّ محلها.

وقد بذل العالم الكبير جهدًا وافرًا متعدد الأشكال في تجاوز هاتين العقبتين فيما عرَّبه من مصطلحات ووضعه من معاجم.

ولم يكتفِ بهذا، بل وضع هذا الكتاب الذي يحدد فيه منهج العرب قديمًا في التعريب إبان نهضتهم العلمية باقتباس علوم الأمم المتحضرة التي سبقتهم، ومن ثم توجهوا إلى تعريب الكثير في مختلَف العلوم.

وبعد استقرائه – فيما جمعه من الكلمات الأعجمية– استقراءً واسعًا وطويلًا، مقارنًا بين هذه الكلمات في العربية والأعجمية استخرج من ذلك حقائق وطابق بينها وبين خصائص اللغة، واستخلص من ذلك قواعد يُسار على منهاجها ويُنسَج على منوالها حتى إذا تُرجِم كتاب إلى العربية تخرج ألفاظه كلها بنَسَقٍ واحدٍ مهما اختلفت البلدان وتعددت اللغات(١).

ويُغرِيه البحث فيكتب عن اللغة العربية وأصلها، وفي أنساب العرب، وفي لغة جزيرة العرب واختلافها، وفي مراتب كلامهم وأرقاها لغة القرآن، ويستطرد فيبحث عن اللغات السامية شمالية أو جنوبية، ويُوجِز القول في تدوين اللغة واستنباط النحو والصرف، ويُوجِز في فضل اللغة العربية كتابةً وشعرًا وعروضًا وأمثالًا، وفي الكتابة العربية، وفي حاجة العرب إلى التعريب، واتساع دائرة النقل والترجمة، ويبيِّن بعضًا من خصائص العربية في الاشتقاق والنَّحْت والمجاز، ليصل في النهاية إلى القول في التعريب وأحكامه وقواعده. وإليكم إشارة إلى شيء من هذه المباحث الثمينة.

---

(١) مقدمة الكتاب، ص٥، ٦.

منهج العرب في التعريب:

اضطّر العرب إلى تعريب كثير من الألفاظ في مختلف العلوم، وقد كان تعريبهم في كثير من الأحوال مُغيِّرًا لصورة الكلمة بحيث يصعب معه التفريق بينها وبين الكلمة العربية أو تمييزها، وبيان أصلها الذي أُخِذَت منه، وقد أدى ذلك إلى كثير من الخلط والاختباط، فكان كل مُعرِّب يُعرِّب الكلمة على وجه يرضاه من الوجوه الممكنة، وبهذا اختلفت الأوضاع مع أن المسمَّى واحد. ولهذا فقد شغل نفسه بأن يستخرج من استقراء الكلمات المعرَّبة قديمًا قواعد يُسار على منهاجها، وهي جديرة – إن نُسِجَ على منوالها– أن تُوحِّد شكل الكلمة المعرَّبة مهما اختلفت البلدان وتعددت اللغات(١).

متى نُعرِّب؟ وكيف؟

التعريب هو آخر ما يُلْتَجَأ إليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تُترجَم بها الكلمة الأعجمية، أو يُشتَقُّ منها اسم أو فعل، أو يُتجوَّز منها مجاز، أو يُنحَت منها لفظ، فحُكْم الناقل هنا حُكْم المضطر يركب الصعب من الأمور، ولا ضَيْر عليه وَقْتَئذ(٢).

وقد تكلمنا قَبْلًا عن تعريب أسماء النبات وكيف تُستعمَل، ويبقى أن نتحدث عن المصطلحات الكيماوية.

المصطلحات الكيماوية:

أما أسماء المصطلحات الكيماوية فأسماء المعاني فيها تُترجَم ولو بكلمتين، وأما أسماء الأجناس من العناصر فتُترجَم أو يُشتَقُّ لها اسمٌ من إحدى صفاتها أو خصائصها كما فُعِل في النبات، وإذا اكتسب الاسم الأعجمي شكل العلمية – أي صار كاسم العلم– فإنه يُعرَّب حفظًا لمنزلته العلمية وانسجام المعاني.

---

(١) مقدمة الكتاب، ص٦.

(٢) التهذيب، ص١٢٥.

وأما الزيادات والإضافات- يعني اللواصق- المميزة للأجسام بعضها من بعض في أحوالها المختلفة فهي نوعان: فما كان منها دالًّا على النسبة فإنه يَلحَق به علامات النسبة العربية، وما كان دالًّا على صفة فترسم كذا، فيقال: (حامض الكبريت) بدلًا من (حمض كبريتيك)، و(الحامض الكبريتي) بدلًا من (حمض كبريتوز)، وأما الزيادات الدالة على تنويع العناصر فإنها تُعرَّب كما هي، مثل: amin, amid, ol, methyl... إلخ، والألفاظ العددية تُترجَم، مثل: mono, di, tei... إلخ، فإنه يقال فيها: مفرد، وثنائي، وثلاثي، أو المثلث.. بحسب ذوق التركيب(١).

قواعد رسم الحروف الأعجمية:

اعتمد في استخراج هذه القواعد على ما استخلصه من المعرَّبات العربية القديمة، وقد احترس بعد ذكرها، وقال معلِّقًا: "جميع القواعد التي ذكرتها هي التي دل عليها الاستقراء المتواصل، وهو لا يخلو أبدًا من استثناء، والعمدة فيه على سهولة النطق على اللسان ومقاربته للأوزان والخصائص العربية"(٢). ويحسُن بالقارئ الكريم أن يرجع في ذلك إلى كتابه.

وعلى هذه القواعد جرى كثير من المُعرِّبين وصُنَّاع المعاجم، واقتدى بها المَجْمَع – مع خلاف يسير- في معاجم العلوم التي يُصنِّفها.

ألعاب الصبيان عند العرب:

ويكتب أحمد عيسى بمجلة المَجْمَع بحثًا لغويًّا طريفًا عن (ألعاب الصبيان عند العرب)، يُعدُّ مَثَلًا لعِلْمه الوافر بلغة العرب وجهده المستوعِب لكلامهم.

وهذا مَثَلٌ فحسب من خمسة وستين لعبة من ألعابهم: أسماؤها وما يرادفها من ألفاظ:

---

(١) التهذيب، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) التهذيب، ص١٢٥.

(الأُرْجوحة) والمَرْجوحة التي يُلعَب بها، وهي خشبة تُؤخَذ فيُوضَع وسطها على تَلٍّ، ثم يجلس غُلام على أحد طرفيها، وغلام آخر على الطرف الآخر، فتترجَّح الخشبة بهما، ويتحركان، فيميل أحدهما بصاحبه الآخر(١).

الغناء للأطفال عند العرب:

وهذا كتاب آخر من طرائف العربية التي اهتم أحمد عيسى بذخائرها وجمالياتها، قال في مقدمته: "ترقيص الصبيان بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان أنَّى وُجد، حتى لتجدنَّه في الحيوان الأعجم؛ إذ تراه يُهارش ولده ويداعبه في صوت ليِّن وحُنو كحنو الإنسان على ولده، والترقيص للإنسان من أقوم الوسائل لتربية الطفل وتنشئته، وغرس جميل الخِصال وحميد الأفعال في ذهنه قبل أن يشتد".

وقد كان للعرب نصيب وافر من ذلك الكلام اشتهر عنهم وحل بينهم أعلى مكان من مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم(٢).

وللترقيص بالغناء هدف أخلاقي عالٍ؛ إذ يكون مؤديًا إلى غرس الخِصال الحميدة التي يتوخى المجمتع أن تراعى في تربيتهم وتهذيبهم، كالشجاعة والفخر والإقدام والكرم وإغاثة الملهوف... وغير ذلك مما يبدو من الأمثال التي قدَّمها الدكتور أحمد عيسى، ولهذا عُنيت بطبع هذا الكتاب وزارةُ المعارف العمومية ١٩٣٦م.

وثمَّة جانب آخر غير هذا الجانب الأخلاقي يوجهنا إليه المؤلف، وهو حُسن الأداء، وجمال التركيب، وسَبْك الألفاظ، ما جعل اللغويين يستشهدون بها في فصاحة الحروف ونقاوة اللغة(٣).

---

(١) مجلة المجمع، ٤/ ٢٨١.

(٢) الغناء عند العرب، ص(ه).

(٣) المرجع السابق.

وقد جمع أحمد عيسى مادة هذا الكتاب بعد مطالعات طويلة.

ومن أمثلة هذا الكتاب: أن السيدة حليمة مُرضعة النبي غفلت عنه يومًا في الظهيرة، فوجدته مع أخته من الرضاعة، وهي الشيماء، وهي تُرقِّصه بقولها:

هذا أخٌ لي لم تَلِدْه أُمي وليس من نَسْل أبي وعمِّي

فأَنْمِه اللهم فيما تُنمِي[1]

(١) المرجع السابق، ص١، تدعو له بالنمو، من نما ينمو نماءً: زاد وكثر، وأنماه الله إنماءً.